
أحمد خليل جمعة
نساء من عصر التابعين
عائشة بنت طلحة
www.dawahmemo.com
دار ابن كثير
دمشق - بيروت

(١)

عائشة بنت طلحة

* قال أبو زُرعة الدمشقي :

عائشة بنت طلحة امرأة جليلة ، تُحدِّثُ عن عائشة أم المؤمنين .

* وقال العجلي :

عائشة بنت طلحة مدنيَّة ، تابعيَّة ، ثقة .

* وقال المزّي :

لم يكن من النّساء أعلم من تلميذات عائشة أم المؤمنين :

عمرة بنت عبد الرحمن ، وحفصة بنت سيرين ، وعائشة بنت طلحة .

عائشَةُ بنتُ طلْحة

البيتُ الزُكي :

* هذه تابعيـةٌ جليـلة ، سـليلةُ بيتٍ كبير القَدْرِ في عصْرِ النُّبوة ، نشأت في أحضان بيت النُّبوةِ برعايةِ عائشة بنت الصّديق أمّ المؤمنين رضي الله عنها ، فكانت من أَبْيَنِ النِّساء علماً وأدباً وكرماً .

* وقد حباها الله عزَّ وجلَّ جمالاً باهراً ، كأنَّما هي إحدى حور الجنَّة في هذه الدُّنيا .

* رآها سيِّدُنا أبو هريرة رضي الله عنه فقال : ما رأيتُ أحداً أجمل من عائشةَ بنتِ طلحةَ إلا معاوية على منبر رسول الله ﷺ .

* وقال لها سيِّدنا أنس بن مالك رضي الله عنه : واللهِ ما رأيتُ أحسن منك إلا معاوية على منبر رسول الله ﷺ ! فقالت : والله لأنا أحسن من النَّارِ في عين المقْرور في الليلةِ القارّة[1] .

* فمن أيّ البيوت انحدرتْ هذه التَّابعية ؟ .

* قبل أنْ ندخلَ في سيرتها ، دعونا نعرف شيئاً عن أسرتها العريقةِ في منابتِ الإسلام .

---

(١) تاريخ دمشق (ص ٢٠٩ و ٢١٠) . و « القارّة » : الباردة .

* فأبوها : سيّدنا طلحة بن عبيد الله التّيميّ القرشيّ ، أحد العشرة المبشرين بالجنّة ، وأحد الصّحابة الأخيار الأجواد ، لقّبه النّبيُّ ﷺ بـ « طلحةَ الجود » و « طلحةَ الخير » و « طلحةَ الفيّاض » ودعاه مرّةً « الصّبيح المليح الفصيح » ويكفيه فخراً أنّه أحد الثّمانية السّابقين إلى الإسلام .

* وأمُّها : أمُّ كلثوم بنت سيّدنا أبي بكر الصّدّيق التّيميّة القُرشيّة ، تابعيةٌ جليلةُ القَدْر ، ولدتها أمُّها حبيبة بنت خارجةَ الأنصاريّة بعد وفاة الصّدّيق ؛ وأمُّ كلثوم هذه هي التي قال أبو بكر لعائشةَ ابنته حين حضرته الوفاة : إنّما هما أخواكِ وأختاكِ .

قالت عائشة : هذه أسماء قد عرفتُها ، فَمَن الأخرى ؟! قال : ذو بطن بنت خارجة ـ يعني زوجه حبيبة وكانت حاملاً ـ قد أُلْقِيَ في خلدي أنّها جارية .

فكانت كما قال ، ووُلدتْ أمُّ كلثوم[1] بعد وفاته رضي الله عنه .

* وأمّا خالتها : فهي الصّدّيقة بنت الصّدّيق عائشة أمُّ المؤمنين رضي الله عنها .

* وخالتها الأخرى : ذات النّطاقين أسماء بنت الصّدّيق رضي الله عنها .

* هذه الأسرة الزّكيّةُ العريقةُ التي نشأتْ فيها عائشة بنت طلحة بن

---

(١) اقرأ سيرة أمّ كلثوم بنت أبي بكر في هذا الكتاب .

عبيد الله ، أمُّ عمران التَّيميّة القرشيّة[1] .

* * *

زَوَاجُهَا :

* تزوَّجتْ عائشـــةُ بنت طلحـــةَ ابن خالها ، تزوَّجته برأي خالتها عـائشـــة أمّ المؤمنـين رضي الله عنها ، وزوجُهـا هو عبدُ الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصِّدّيق ، ولدتْ له عمران ـ وبه كانت تكنى ـ وعبد الرحمن ، وأبا بكر ، وطلحة ، ونفيسة[2] .

* وكان ابنُها طلحة بن عبد الله من أجواد قريش ، ومن كرمائهم ، وله يقول الحزينُ الدِّيليّ يذكر نسبه وأمّه :

وإنْ تكُ يـــا طـــلحَ أعْطَـــيتَـــني
عـــذافـــرةً تَسْتخفُّ الضِّـــفـــارا[3]
فمـــا كان نفـــعـــكَ لي مـــرَّةً
ولا مـــرتـــين ولكـــنْ مِـــرارا
أبـــوكَ الذي صـــدَّقَ المـــصـــطـفى
وســـار مع المـــهـــتـدي حيثُ ســـارا
وأمّكَ بيـــضـــاءُ تيـــمـــيَّـــةٌ
إذا نُسبَ النَّـــاس كانت نُضَـــارا[4]

---

(١) تـاريخ دمشق (ص ٢٠٧) ، ونوادر المخطوطات (١/ ٧٠) ، وتقريب التهذيب (٢/ ٦٠٦) .

(٢) جمهرة أنساب العرب لابن حزم (١/ ١٣٧) .

(٣) « العذافرة » : العظيمة الشّديدة من الإبل . والمذكر : عذافر ، وهو أيضاً الأسد .

(٤) « تيميّة » : منسوبة إلى تيم . والمراد هنا : تيم بن مرّة رهط أبي بكر الصديق رضي الله عنه . و « النُّضار » : بالضم : الجوهر الخالص من التبر .

الرَّاوِيَةُ النَّجِيْبَةُ :

* كانت عائشةُ بنتُ طلحةَ أشبه النَّاس بخالتها عائشة أمّ المؤمنين ، وأحبّهم إليها ، وأطْبَعهم على علمِها وأدبِها ، فقد تتلمذتْ عليها ، وروتْ عنها الحديث النّبوي الشّريف ، وحديثها مُخرّجٌ في الصِّحاح[1] .

* وقد اقتبستْ عائشةُ بنتُ طلحة منْ خالتها علمها وأدبها وخلالها ، فكانت من فضليات التّابعيات اللاتي رُوِيَ عنهن الحديث .

* روى عنها الحديث ثلةٌ من أكابر التّابعين ، وجلّة العلماء ، منهم : ابنها طلحة بن عبد الله ، وابن أخيها طلحة بن يحيى ، وابن أخيها الآخر معاوية بن إسحاق ، والمنهال بن عمرو ، وفُضيل بن عمرو الفقيمي ، وحبيب بن أبي عمرة[2] ، وعطاء بن أبي رباح ، وعمر بن سعيد وغيرهم .

* * *

أحاديثُ شَريفَةٌ مِنْ مَرويَّاتها :

* من مرويات عائشة بنت طلحةَ رحمها الله ما أخرجه الحافظ ابن عساكر بسنده عنها عن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها قالت :

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣٦١/٤) .

(٢) حبيبُ بن أبي عمرة القصّاب ، أبو عبد الله الحمّاني ، مولاهم الكوفي التابعيّ ، روى عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعائشة بنت طلحة ، وأمّ الدرداء ، وروى عنه أكابر التّابعين أيضاً . كان ثقة ، قليل الحديث ، روى نحو (١٥ حديثاً) قال ابن معين والنّسائي : ثقة . وقال أحمد : شيخ ثقة . مات سنة (١٤٢ هـ) رحمه الله . (تهذيب التّهذيب : ١٨٨/٢) و (تقريب التهذيب : ١٥٠/١) .

قلتُ : يا رسول الله ، إن صبيّاً من الأنصار ، لم يبلغ السّنّ ، عصفورٌ من عصافيرِ الجنّةِ .

قال : « أو غَيْرَ ذلك يا عائشة ، خَلقَ اللهُ الجنّةَ ، وخلق لها أهلاً ، وخَلقَ النّار ، وخَلقَ لها أهلاً وهم في أصْلاب آبائهم »[١] .

* ومن مروياتها ما أخرجه أبو داود بسنده عن المنهال بن عمرو ، عن عائشةَ بنتِ طلحةَ ، عن أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت :

ما رأيتُ أحداً كان أشبه سمتاً ولا هدياً ودلاًّ برسول الله ﷺ من فاطمةَ كرّمَ الله وجهها ، كانت إذا دخلتْ عليه قامَ إليها فأخذ بيدها وقبّلها وأجلسها في مجلسه ، وكان إذا دخل عليها قامتْ إليه فأخذت بيده فقبّلتْه وأجلسَتْه في مجلسها[٢] .

* ومما رُوي لها في الصّحاح ما أخرجه مُسلم بسنده عن طلحةَ بنِ يحيى بنِ طلحةَ عن عائشةَ بنتِ طلحةَ عن عائشةَ أمّ المؤمنين قالت :

قال رسول الله ﷺ : « أسرعُكُنّ لَحَاقاً بي أطوَلُكُنّ يداً » .

قال : فكنّ يتطاولن أيّتهنّ أطولُ يداً ، فكانت أطولنا يداً زينب ـ

---

(١) تاريخ دمشق (ص ٢٠٧) .

(٢) أخرجه أبو داود (٥٢١٧) في الأدب ، ورواه الترمذي (٣٨٧٢) في المناقب ، والحاكم في المستدرك (١٥٢/٣) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . السمت والهدي والدل ، ألفاظ متقاربة المعاني ، ومعناها : الهيئة والطريقة وحسن الحال .

بنت جحش زوج النبي ﷺ ـ لأنها كانت تعملُ بيدها وتَصدق[1] .

* * *

عَائِشَةُ في ميزَانِ العُلَمَاء :

* لا شكَّ في أنَّ امرأةً تابعية كعائشةَ بنتِ طلحةَ ، غُذِّيَتْ في بيتِ النُّبوة ، أنْ تكونَ من عليةِ النِّساء علماً وقدراً وصدقاً ، لذلك أثنى عليها العلماءُ والكبراءُ ممن يعرفون رواية الحديث ، وممن لهم خبرة بعلومِهِ ، ويكفيها فخراً أنَّ إمامَ الجرح والتَّعديل وعَلَمَ الحديثِ والمحدِّثينَ في زمانه يحيى بن معين يوثقها ويحتجُّ بحديثها فيقول : الثِّقاتُ مِنَ النِّساء عائشة بنت طلحةَ ثقةٌ حجة .

* بينما أثنى عليها أبو زُرعة الدِّمشقي ، وذكر فضْلها وقَدْرها فقال : عائشـةُ بنتُ طلحةَ ، امرأةٌ جليلةٌ تحدِّثُ عن عائشـةَ ـ أمِّ المؤمنين ـ وتحدّث النَّاس عنها بقدْرِها وأدبها .

* وفي الثَّناء عليها يقول العجليُّ : عائشةُ بنتُ طلحةَ مَدَنيَّة ، تابعيَّةٌ ، ثقة .

* وفي كتاب « الثِّقات » ذكرها ابنُ حبان وأثنى عليها[2] .

* وفي « البدايةِ والنِّهايةِ » نقل ابنُ كثير عن شيخه المِزيّ قوله : لم يكن في النِّساء أعلم منْ تلميذات عائشة أم المؤمنين : عمرة بنت عبد

---

(١) صحيح مسلم (١٤٤/٧) باب : من فضل زينب أم المؤمنين . وانظر كتابنا « نساء مبشرات بالجنة » (٢٧٢/١) ففيه تفصيل الحديث .

(٢) عن تاريخ دمشق (ص ٢٠٧ ـ ٢١٠) ، وتهذيب التهذيب (٤٣٧/١٢) .

الرحمن ، وحفصة بنت سيرين ، وعائشة بنت طلحة .

* * *

كَرَامَةٌ لعَائِشَةَ :

* كانت عائشةُ بنتُ طلحةَ _ رحمها الله _ على جانبٍ عظيمٍ من الذِّكرِ ، فكان لسانُها لا يفتر عن التَّسبيح بالغدوِّ والآصال ، وأضحتْ نفسُها صافيةً صفاءً جعلها الوحيدة من بين بناتِ طلحة _ رضي الله عنه _ لتقوم بمهمّة رأتْها في منامها .

فقد أوردت المصادر[1] _ مع الجمع بينها _ أنّها رأتْ والدها بعد موته ببضع وثلاثين سنة فكان يقول لها :

يا بُنيّة أخرجيني من هذا الماءِ الذي يؤذيني ، فإنَّ النَّزَّ قد آذاني .

فلما انتبهت من نومها ، جمعتْ أعوانها ثم نهضتْ ، فركبتْ في حشمها ، ونبشوهُ ، فوجدته صحيحاً كما دُفنَ لم تنحسرْ له شعرة ، وقد اخضرَّ جنْبُه كالسُّلقِ من الماء الذي كان يسيلُ عليه ، وتولى إخراجه عبد الرحمن بن سلامة التَّيمي ، ثم لفَّهُ في الملاحفِ ، واشترتْ له داراً من دور آل أبي بكرة بالبصرة ، فدفنته فيها ، وبَنَتْ حوله مسجداً ، فكانتِ المرأةُ منْ أهل البصرة تقبلُ بالقارورة من البَانِ فتصبّها على قبره حتى تفرغها ، فلم يزلنَ يفعلن ذلك حتى صار تراب قبره مِسْكاً أذفر ، فقبره هناك مشهور .

(١) انظر في هذا الطبقات الكبرى (٣/٢٢٣ و ٢٢٤) ، والمعارف (ص ٢٢٩) ، وسير أعلام النبلاء (١/٤٠) ، والعقد الفريد (٤/٣٢٣) ، وانظر هذا في ترجمة طلحة في الاستيعاب وأسد الغابة .

مع مصْعَب بن الزُّبَير :

* لما توفي زوجها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصِّديق تزوَّجها أميرُ العراق مصعب بن الزُّبير القُرشيّ الأسديّ ، وكان مصعبُ فارساً شجاعاً ، جميلاً وسيماً يُحْسَدُ على جماله ، وفيه يقول عُبيد اللهبن قيس الرّقيّات :

إنّمــا مصـعب شـهــابٌ مِنَ اللّـ
ــهِ تجلّتْ عن وجهــه الظّـلمـاءُ
مُـلْكُــه مـلكُ عزّة ليس فيهـا
جـبروتٌ منــه ولا كبريـاءُ
يتّـــقــي الله في الأمــور وقــد
أفــلح مَنْ كان همُّــه الاتقــاءُ

* وكان مصعب يتمنّى أنْ يتزوّج عقيلة قريش وجميلتها عائشة بنت طلحة ، ولذلك قصة تجمع بين الظّرافة والرّقة ، وتدلُّ على علو الهمّة .

ففي جِلْسةٍ بفناء الكعبة المشرّفة جمعتْ عبد الله ، ومصعب ، وعروة ، بنو الزّبير ، وعبد الله بن عمر ـ وقيل عبد الملك بن مروان ـ فقال لهم مصعب : تمنوا فقالوا : ابدأ أنتَ . فقال : ولاية العراق وتزوّج سُكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، فنال ذلك وأصْدَقَ كلَّ واحدةٍ منهما خمسمئة ألف درهم وجهّزها بمثلها .

وتمنّى عُروة بن الزّبير الفِقْه ، وأنْ يُحمل عنه الحديث فنال ذلك .

وتمنّى عبد الملك بن مروان الخلافة فنالها .

وتمنّى عبد الله بن عمر الجنّة ، ولعلّ الله عزّ وجلّ قد غفر له[1] .

* وتزوَّجَ مصعبُ عائشةَ ، وكانت أجمل نساء زمانها وأرأسهن ، حتى إنْ حسانَ النّساء في زمانها قد شهدن لها بالجمال ، ووصفْنَها بأحلى الصّفات . وهذه شهادة عظيمة لعائشةَ ، فإنّ المرأةَ أعرف بالمرأة وأبْصَر من الرّجل بسرائر الحسن المكنون .

* * *

مِنْ طَرَائِفِ أَخْبَارِهَا :

* يبدو من أخبار عائشة أنّها كانت قاسية بعضَ القسوة مع زوجها مصعب ، فكانتْ تخاصمه وتُلاحيه أحياناً ، ولها في هذا أخبارٌ طريفةٌ ، ومواقفُ ظريفة .

* وَرَدَ أنّها غضبتْ يوماً على مصعب ، وكانت من أحبّ النّاس إليه ، فشكا ذلك إلى أشعب[2] ، فقال : ما لي إنْ رضيت ؟ .

قال : حكْمُك .

قال أشعب : عشرة آلاف درهم .

(١) انظر القصة بأساليب متقاربة في الحلية (٢/١٧٦) ، ووفيات الأعيان (٣/٢٩ و ٢٥٨) ، وعيون الأخبار (١/٢٥٨) ، والبداية والنهاية (٨/٣٢٢ و ٣٢٣) ، وسير أعلام النبلاء (٤/١٤١) ، وغيرها من المصادر .

(٢) هو أشعبُ بن جُبير المدني ، الذي يُضرب المثل به في الطّمع . روى عن عكرمة وأبان بن عثمان ، وسالم بن عبد الله ، وله نوادر مشهورة . توفي سنة (١٥٤ هـ) رحمه الله . (فوات الوفيات ١/٣٧) .

قال مصعب : هي لك .

فانطلق أشعبُ حتى أتى عائشةَ فقال : جُعلتُ فداك ! هذه حاجة قد عرضت لي تقضين بها حقي ، وترتهنين بها شكري .

قالت : وما عَناكَ يا أشعب ؟ .

قال : قد جَعَل لي الأميرُ عشرة آلاف درهم إنْ رضيْتِ عنه .

قالت : ويحك لا يمكنني ذلك .

قال : بأبي أنتِ فارضي عنه حتى يعطيني ، ثم عودي إلى ما عوّدكِ الله من سُوء الخُلُق .

فضحكت منه ، ورضيتْ عن مصعب .

* وكانت عائشةُ رحمها الله كثيرة الإعجاب بنفسها ، كثيرة الدّلال على زوجها ، يصلُ ذلكَ إلى حدِّ الإسراف أحياناً ، فمن حديث ذلك أنّ مصعباً أتاها وهي نائمةٌ متصبّحة ـ نومة الغداة ـ ومعه ثماني حبّات لؤلؤ قيمتها عشرون ألف دينار ، ونثر اللؤلؤ في حجرها ، فقالت له : نومتي كانت أحبّ إليّ من هذا اللؤلؤ[1] .

* وشكا مصعب كثرة إعجابها بنفسها إلى عبد الله بن أبي فروة كاتبه ، لعلّه يجدُ له مخرجاً أو حلاً يخلصّه من إسراف عائشة في الدّلال والهجران .

فقال له : أفتأذن لي في الحيلة ؟ .

---

(١) نوادر المخطوطات (١/٧٧) .

قال مصعب : نعم ، اصنعْ ما شئتَ فإنَّها أفضـل من ثلثُ من الدُّنيا . فأتاها ابنُ أبي فروة ليلاً ، فاستأذنَ عليها .

فقالت له : هذه السَّاعة ؟ .

قال : نعم ، ففزعتْ ـ ومعه رجلان أسودان ضخمان ـ فقالت له مولاة لها : ما شأنُك ؟ .

قال : شُؤْمُ مولاتك عائشة .

قالت : وما لها ؟ .

قال : أمرني هذا الفاجر ، أسْفَكُ مَنْ خَلَقَ اللهُ لدَمٍ حرام وأقتله للناس ، أنْ أحتفرَ بئراً وأدفنها فيه حيّة ، وقد حرصتُ ـ واللهِ ـ أنْ يعفيني من هذا فأمر بقتلي .

قالت : فأنظرني أذهب إليه .

قال بلهجة الجادّ الحازم : هيهات لا سبيل إلى ذلك أبداً . ثم قال للأسودين بنبرة أشدّ حزماً : احْفِرا .

فبكت عائشة ورأت الجدَّ منه .

وقالت : يا بن أبي فروة ، إنّك لتقتلني ؟ .

قال : ما منه بدٌ ، وإنّي لأعلمُ أنّ الله سيخزيه ، ـ أو سيجزيه ـ بعدك : ولكنّه قد غضبَ وهو كافرُ الغضبِ .

قالت : فأيّ شيءٍ أغضبه ؟ .

قال : في امتناعك عليه ، وقد ظنّ أنّكِ تبغضينه ، وأنّك تتطلعينَ إلى

غيره فقد جُنَّ .

فقالت : أُذكّرك اللهَ إلا عاودته .

قال : أخاف أنْ يقتلني .

فبكتْ وجواريها ، فلما رأى ذلك ، ولمس أنّها استكانتْ ؛ قال لها : قد رققْتُ وأنا أغررُ بنفسي فما أقولُ لمصعب ؟ قالت : اضمن عني أنّي لا أعود أبداً ـ أي إلى المخالفة ـ قال : فأعطيني المواثيق ، فأعطته .

فقال للأسودين : مكانكما .

ثم أتى مصعباً فأخبره بما جرى ؛ فقال له مصعب : استوثِقْ منها بالأَيمان .

فأتاها فقال : إنّه قد سكنَ بعض السُّكون ، فاحلفي لي أنْ لا تخالفيه ، فوثقتْ له ، وصلحتْ لمصعَب بفضلِ ذلك الدّرس البديع الطّريف[1] .

وأخبارها في هذا كثيرة لا يتسع المقام لذكرها هنا .

* * *

بَعْدَ مُصْعَب :

* بعد مقتل مصعب عنها : تزوّجها عمر بن عبيد الله بن معمر التّيمي ، وأقامت معه ثماني سنين ، حيث مات سنة (٨٢ هـ) فبكته

---

(١) عن نوادر المخطوطات (١/٨٠) بتصرف يسير جداً .

قائمة . وكانت العرب إذا ناحتِ المرأةُ على زوجها قائمة علموا أنّها لا تتزوّج بعده .

* ومنذ أنْ تأيّمتْ ، كانت تقيمُ بمكةَ سنة ، وبالمدينة سنة ، وتخرجُ إلى مالٍ لها بالطّائف تدير أمورها بنفسها ، وكان لها بذلك أخبار مع الشُّعراء ، تدلُّ على دقّةِ فهمها وحسن رأيها وجودة أدبها ، رحمها الله .

* * *

منْ أخْبَارِ جَاهِهَا وفَخْرِهَا :

* كانت عائشةُ بنتُ طلحةَ في بَسْطَةٍ من المال يُحسبُ حسابها ، وكانت تحبُّ أنْ ترى أثر نعمة اللهِ عليها . فقد ورد أنّها لما أرادتِ الحجّ حملتْ متاعها ، وما تحتاجُ إليه على ستين بغلاً من بغال الملوك عليها الهوادج والرّحائل ، فقال عروةُ بن الزُّبير أحد الفقهاء السّبعة[1] :

عائش يا ذات البغال الستين
أكلّ عام هكذا تحجين ؟

(١) الفقهاءُ السبعة : مصطلح ظهرَ عند أهل المدينة ، أرادوا به الفقهاء المبرزين بالمدينة من التّابعين ، ويبدو أنّهم كانوا يتشاورون ويصدرون عن رأي فيما يعرض عليهم من قضايا . وهؤلاء الفقهاء السّبعة ـ ومن في طبقتهم ممن عاصرهم ـ حملوا المشعل من الصّحابة ، وأضاؤوا فيه بقية القرن الأول وبداية القرن الثاني للهجرة ، وكانوا هم المدرسة التي كوّنت الفقهَ المدنيّ وجعلت له كياناً متميزاً أساسه الإفتاء بما أفتى به السّابقون من الصّحابة الكرام بالإضافة إلى الاجتهاد بآرائهم . والفقهاء السّبعة هم : سعيدُ بن المسيب ، عروة بن الزّبير ، أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، القاسم بن محمد بن أبي بكر ، عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، خارجة بن زيد بن ثابت ، وسليمان بن يسار ، رحمهم الله .

* وهذه الصِّفات جعلتْ عائشة تفخر على مَنْ سواها بما أنعم الله عليها من نِعَمٍ ظاهرة وباطنة ، فقد ورد أنّها حجّتْ مرة مع ـ ضرّتها ـ سكينة بنت الحسين ، وكانت عائشة أحسن آلةً وثقلاً ، فقال حاديها يحدو بقول عروة بن الزبير :

عــائش يــا ذات البـغــال السّتــين

أكلَّ عــــام هكــــذا تحجــــين؟

فشقَّ ذلك على سُكينة ، ونزل حاديها فقال :

عــائش هــذه ضرّةٌ تشــكـوكِ

لولا أبــوهــا مــا اهتــدى أبــوكِ

فأمرتْ عائشة حاديها أنْ يكفَّ ، فكفَّ احتراماً لسُكينة .

* ويـدو من أخبار عائشـة رحمهـا الله أنَّ حبَّ الفَخْر كان من سجاياها ، فكانت تفاخر أمّها ، وقد حدَّثَ إسحاق بن طلحة ـ وهو أخوها لأبيها ـ قال :

دخلتُ على أمّ المؤمنين ـ عائشة ـ وعندها عائشةُ بنتُ طلحةَ وهي تقول لأمّها أمّ كلثوم بنت أبي بكر : أنا خيرٌ منك ، وأبي خيرٌ من أبيك .

قال : فجعلتْ أمّها تَسبها وتقول : أنتِ خيرٌ مني ؟! فقالت عائشة زوج النّبي ﷺ : ألا أقضي بينكما ؟ قالتا : بلى .

قالت : فإنَّ أبا بكرٍ دخل على رسول الله ﷺ فقال له : « أنت يا أبا بكر عتيق الله من النّار » ، فمن يومئذ سُميَ عتيقاً .

ودخل طلحة بنُ عبيد الله عليه فقال :

« أنتَ يا طلحة ممن قضى نحبه[1] » .

* * *

مَعَارِفُهَا وعِلْمُهَا :

* قَلَّ أنْ نجد امرأة أوتيت سعةً منَ المال ، ورُزقت حظّاً منَ الجمال ، أنْ تهتمّ بالمعرفةِ والعلم ، غير أنَّ عائشةَ بنتَ طلحة ومَنْ في طبقتها من النّساء كنَّ يختلفْنَ عن غيرهن من النّسوة ممن يشغلهن الدّيباج والحليّ والحُلل عن كلّ شيء .

* فقد كانت عائشةُ رحمها الله ذات عقل وبديهة حاضرة ، وجرأة في الكلام ، وسَعَة في المعارف المتنوعة ، ومن الأخبار التي تشهد لها بالعلم والجرأة على قول الحقّ ، ما روي أنّها وفدت على هشام بن عبد الملك بدمشق .

فقال لها : ما أوفدك يا عائشة ؟ .

قالت : حَبَستِ السّماءُ المطر ، ومَنَعَ السُّلطان الحقّ .

قال : فإنّي أصل رحمَكِ ، وأعرفُ حقَّكِ .

ثم بعث إلى مشايخ بني أميّة فقال : إنَّ عائشةَ ابنة طلحة التّيميّة عندي ، فاسمروا عندي الليلة ، فحضروا ، فما تذاكروا شيئاً من أخبار العرب وأشعارها وأيامها إلا أفاضتْ معهم فيه ، وما طلع نجمٌ ولا غارَ إلا سمّته . فقال لها هشام متعجباً : أمّا الأول ـ أخبار العرب وأشعارها ـ فلا أنكره ؛ وأما النُّجوم فمن أين لكِ هذا ؟

(١) تاريخ دمشق (ص ٢١٠) .

قالت : أخذتُها عن خالتي عائشة أُمّ المؤمنين رضي الله عنها . فأمر لها هشام بمئة ألف درهم ، وردَّها إلى المدينةِ ردًّا جميلاً معززةً مكرّمةً[1] .

* وظلّتْ عائشةُ بنتُ طلحة من أُندرِ نساء عصرها حُسناً وجمالاً ، وهيئةً وأدباً ، وعفّةً وعلماً ، إلى أنْ توفيتْ سنة (١٠١ هـ) .

رحمَ الله عائشة بنت طلحة ، وتغمّدها برحمته .

* * *

(١) أعلام النساء (٣/١٥٤) .